" الثبات على الحق "

ويمضى القرآن الكريم في الحث على الأخلاق الكريمة فيقول- سبحانه وتعالى- : ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾﴾[سورة طه:٧٠:٧٢]. بعد أن ذكر الله – سبحانه وتعالى – " الموعد " يوم الزينة وذكر أنهم قالوا ائتوا صفا ذكَرَ هنا أنهم بعد أن أتوا خيروه بين أن يبدأ بالقاء ما معه ، أو أن يبدأوا هم ، فاختار الثانية ، وحين بدأوا فألقوا حبالهم وعصيهم ، وهنا خشى" موسى "– عليه السلام – عاقبة أمره ، فأوحى إليه ربه ﴿۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [سورة الأعراف:١١٧]. لا تخف إنك أنت الأعلى والقى ما في يمينك فسيكون لك الظفر ، والنصر عليهم ، وقد تحقق ما وعده الله به ، وكتب له النصر ، وآمن به سحرة فرعون ، فلجأ فرعون إلى العناد ، والاستكبار ثم توعد السحرة بأنه سيقطع أيديهم ، وأرجلهم من خلاف وسيصلبهم فى جذوع النخل ، فقابلوا تهديده بالاحتقار ، والاستهزاء والتهكم والسخرية ، فقالوا إنما أنت مسلط علينا في هذه الحياة الدنيا ، وعذابك لا يعدوها ، وما عند الله من العذاب لا يضارعه ولا يساويه عذاب ، وما عنده من الثواب لا يقدر قدره ، ففى جناته التى تجرى من تحتها الأنهار ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر. وقد قال السحرة فى آية أخرى : ﴿ فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾[سورة الشعراء:٤٤]. وقال تعالى : وهنا يقول : ﴿أَلْقُواْ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾ [سورة الأعراف:١١٦]. ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُواْ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾ [سورة طه:٦٦]. وذلك أنهم اودعوها فى الزئبق ما كانت تتحرك بسببه وتضطرب وتميد بحيث يخيل للناظر أنها تسعى باختيارها ، وإنما كانت حيلة ، فألقى كل منهم عصا وحبلا حتى صار الوادى مملوء بالحيات يركب بعضها بعضا فخاف " موسى " – عليه السلام – على الناس أن يفتتنوا بسحرهم فأوحى الله إليه أن ألقى ما فى يمينك " وهى " عصاه ، فإذا هى تلقف ما صنعوا وفعلاً وقع ما وعده به ربه فالتقفت ما صنعوا من السحر ، لأن سحرهم هذا يعد كبراً ، وبهتاناً ، وافتراءً ﴿....وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [سورة طه:٦٩]. وعند ذلك وقع السحرة سجدا لله : ﴿ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ

﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ [سورة الأعراف: ١٢٠: ١٢٢]. ولهذا قيل: كانوا فى أول النهار سحرة وفى آخر النهار شهداءً برره . يقول صاحب اللَّطائف : " ولما طلعت في أسرارهم شموسُ العرفان ، وانبسطت عليهم أنوار العناية أبصروا الحقَّ سبحانه بأسرارهم ، فنطقوا ببيان التصديق ، وسجدوا بقلوبهم لمشهودهم ، ولم يحتشموا مما توعدهم به من العقوبة ، ورأوا ذلك من الله فاستعذبوا البلاء ، وتحملوا اللأواء ، فكانوا في الغَدَاة كُفَّاراً سَحَرَةً ، وأمْسَوْا أخياراً بَرَرَةً . وفى هذه العبارة فتح لباب الأمل أمام العصاة نظراً لقصر المسافة بين الكفر والإيمان ، فهى كما بين الغداة ، والمساء . عَلِمُوا أَنَّ البَلاَءَ في الدنيا ينقضى- وإنْ تمادى ، وينتهي وإن تناهى. أَهمُّ الأشياء - على مَنْ عرَفه - مغفرتُه لخطاياه؛ فهذا آدمُ - عليه السلام - لما استكشف من حاله ، وحلَّ به ما حلَّ قال : ﴿....رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي....﴾ [سورة القصص:١٦]. وقال سبحانه و تعالى لنبينا - ﷺ - ﴿....وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ....﴾ [سورة غافر:٥٥].

وقال نبينا - ﷺ -: « إنه ليعان على قلبي فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة »(١)

ومَنَّ عليه سبحانه بقوله : ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿٢﴾﴾ [سورة الفتح:٢]وكان عدد السحرة سبعون ألفا ، وقيل كانوا أقل من ذلك . وقيل كانوا بضعة وثلاثين ألفا ، وقيل كان سحرة فرعون أثنى عشر ألفا . ويقول " ابن عباس " – رضى الله عنهما - : " كانت السحرة سبعين رجلاً أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء" . قال الأوزاعي: لما خرَّ السحرة سُجَّداً رُفعت لهم الجنة حتى نظروا إليها. وقيل : "رأوا منازلهم تبني لهم وهم في سجودهم " .

فبعد أن رأى"فرعون"ايمان السحرة،لجأ إلى العناد والمكابرة والتهديد والوعيد . فقال: ﴿قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ ﴿٧١﴾﴾ [سورة طه:٧١]فهو كبيركم الذي تعلمتم منه السحر وتآمرتم معه عَلَيّ وعلى رعيتى . كما قال تعالى في آية أخرى : ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [سورة الأعراف: ١٢٣: ١٢٤]. يقول " ابن عباس " – رضى الله عنهما - : " إن فرعون هو أول من فعل ذلك يعنى التعذيب والتمثيل بهذه الطريقة. ثم نراه يقول لهم ": أنتم تقولون إنى وقومى على

1- اخرجه مسلم وابوداود

ضلاله وأنتم وموسى على الهدى فسوف تعلمون من يكون له العذاب ويبقى فيه ومما لا ريب فيه أن العذاب له ولقومه ولكل من اتبعه في الضلال والغوايه والعناد ، والاستكبار بغير الحق ، فقالوا له بايمان صادق ، وعقيدة ثابتة ، وإيمان لا يخالجة شك : " افعل ما شئت فإنك تستطيع أن تفعل ما شئت فى هذه الحياة الدنيا ، لكننا فى الدار الآخرة وهى دار القرار ، والسبب في ايماننا لنتخلص من عبادتنا الواهمة وتخلصنا من الآثام وما اكرهتنا عليه من السحر والله خير وابقى .

وهنا نرى فرعون يهددهم في آية أُخرى فيقول لهم : ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [سورة سورة الشعراء:٤٩]. أى ما ينالكم منى ، فقالوا مجيبين له : "لا ضير ولا ضرر علينا مما تفعله بنا ، إننا نرجوا أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين في زماننا . ثم يأمر الله نبيه - ﷺ - " بالصبر " حيث إنه - عليه السلام - أدى واجبه ، وَبَلّغ رسالته ، وأنذر قومه ، ودعا عشيرته ، وذلك بالبراهين الساطعة ، والحجج القوية ، والدلائل الواضحة ، فإن الذى يطلب شيئاً فوق ذلك فهو مكابر ، وجاحد ، ومعاند . يقول الشاعر :

قَدْ تُنْكِرُ العَيْنُ ضوء الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ وَيُنْكِرُ الفَمُ طَعْمَ المَاءِ مِنْ سَقَمِ

والله يقول لنبيه - عليه السلام - : " إذا علمت حالهم وطبع الله على قلوبهم فاصبر، إن وعد الله حق ، ووعده الحق نصره عليهم - ﷺ - ولا يستخفنك الذين لا يومنون بالبعث فيحملونك على ترك الصبر فلا تترك الصبر ، يقول تعالى :

﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ..... ﴾ [سورة النحل:١٢٧]

ويعد الثبات على الحق خلق قرآنى ، فواجب على المسلمين أن يتخلقوا بهذا الخلق العظيم ليسعدوا في الدنيا والآخرة والسعادة في الدنيا تكون بالطمأنينة ، والاستقرار النفسى، وراحة البال حيث إن المسلم بثباته على الحق يكون قد أراح ضميره وأسعد نفسه، كما أنه يُسْعِدُ الآخرين .

وهناك كثير من الناس لا يثبتون على الحق إرضاءً لشخص ، أورئيس مصلحة ، أوصاحب سلطة . كى ينال رضاه بسخط الله- سبحانه وتعالى-ويحتج بقوله : " هذا أمر وسط " . فيقول الحق-سبحانه وتعالى- :

﴿....فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ....﴾ [سورة يونس:٣٢]

" فماذا بعد الحق إلاَّ الضلال " فعلينا نحن المسلمين أن نثبت على الحق ، ولوعلم أن في ذلك حتف أنفه وهلاكه لأنه بذلك يرضى الله بسخط الناس ، كما فعل سحرة فرعون، فقد أرضوا ربهم وخالقهم بسخط فرعون وجبريته . (١)

1 - لطائف الاشارات جـ ٢ ، ص ٥٦٥ وما بعدها .
- تفسير القرآن العظيم لأبن كثير جـ ٣ ، ص ١٥٨ وما بعدها .
- الفتوحات الالهية جـ ٣ ، ص ٨٦ – ٨٧ وأيضا ص ٣٩١ وما بعدها وص ١١٧ .